الرؤى الإستراتيجية لتطوير خطط أقسام اللغة العربية وسوق العمل

الملخص باللغة العربية

بنى الباحث استبانة[1] لمعرفة أهداف تعلُّم وتعليم اللغة العربية ثمّ وزّعها على طلبة وأعضاء هيئة التدريس في أقسام اللغة العربية في ثلاث جامعات خاصة، وطلب منهم تعبئة هذه الاستبانة بموضوعية ومصداقية.

قام الباحث بجمع الاستبانات ثم درسها، وفرّغها، وحللها، فوجد أنّ كثيراً من طلبة تخصص اللغة العربية يرغبون بالعمل في غير ميدان التربية والتعليم كمدرسين وإنما يرغبون بالعمل في ميادين أخرى؛ في الإذاعة والتلفزيون، والتحرير، والتأليف، وكتابة المسرحيات، والترجمة، والبحث العلمي إلخ.

على ضوء نتائج هذه الاستبانة آنفة الذكر فحص الباحث خطط أقسام اللغة العربية في الجامعات الثلاث فذُهش عندما وجد أنّ المساقات والموادّ الموجودة في تلك الخطط لا تلبّي إلا رغبة من سيعملون في ميدان التدريس فقط، ووجد أنها بعيدة عن حاجات سوق العمل الذي يتطلب خرّيجين قادرين على العمل في مجالات أخرى غير ميدان التربية والتعليم.

وبناء على ذلك فقد أعاد الباحث بناء هذه الخطط لتوائم الأهداف التي من أجلها التحق الطلبة بقسم اللغة العربية[2]، وتم تعميمها على الجامعات الثلاث لتطبيقها. وكم سُرَّ الباحث عندما تابع الخرّيجين الذين التحقوا بأقسام اللغة العربية التي طبّقت هذه الخطة الجديدة فوجد قسماً منهم يعمل في ميادين أخرى غير ميدان التربية والتعليم.

عبد الرؤوف زهدي حسين مصطفى

أستاذ مشارك في الأدب و النقد
قسم اللغة العربية و آدابها -جامعة الدراسات العليا - الأردن

---

(1) الاستبانة والنتائج مرفقة.
(2) الخطة الجديدة مرفقة.

Strategic sights for developing plans of Arabic departments and work

Abstract

The researcher has prepared a questionnaire[1] in order to know about the objectives of learning and teaching the Arabic language, then he distributed it to the students and faculty members of the Arabic Language departments at three private universities and asked them to kindly fill it out objectively and honestly.

The researcher then collected the questionnaires and studied and analyzed them. He found that many of the Arabic language students were desirous to work in fields other than the education field and in jobs other than teachers. They wanted to work in other fields such as the Radio, TV, editing, book writing, play writing, translation, scientific research ... etc.

In the light of the results of the abovementioned questionnaire, the researcher examined the study plans of the Arabic Language departments in the three universities, and he was surprised to discover that the courses included in such plans were intended to meet the needs of those who would be working in teaching only, and he found that they were far away from the needs of the labor market that required graduates capable of working in fields other than teaching and education.

Consequently, the researcher made a restructuring of those plans to meet the goals and objectives of the students in joining the Arabic Language departments[2], and the new plan was circulated to the three universities to apply it. The researcher was so glad when he made a follow up of the graduates who studied at the Arabic Language departments that applied the new plan and found that some of them were working in fields other than teaching and education.

---

(1) The questionnaire and results are attached.

(2) The new plan is attached

توطئة:

تحتل المقررات والمساقات الأكاديمية بقسم اللغة العربية مكانة بارزة تتصف بالحساسية والأهمية البالغة في العملية التعليمية والتربوية، وليس من الحكمة أن تبقى على ما وضعت وبنيت على أساسه، بل لا بد من إعادة النظر في هذه الخطط لتواكب التطورات الجديدة التي تحارب كل من يحاول الابتعاد عنها أو التعرض لها؛ فبها تتطور الحياة وتتأصل الأصول، وتنمو الفروع وتنعم البشرية بهذا الجديد الذي لا ينفكّ يستمد مادته من تراثه الأصيل.

إن عملية هندسة الخطط وتطويرها، وتخطيط التعليم، وتوجيهه نحو الأفضل والأمثل من حيث التحسين والتجويد وملاءمة المستجدات ضرورة ملحة ومطلب مشروع في ضوء التنافس المعرفي الذي يتطلب إيجاد معرفة ديناميكية؛ تحرِّر العقل، وتنوِّع مصادر المعرفة، وتحلّل، وتفسِّر لتشكل بالتالي أنماطا فكرية متناسقة ومتناغمة لتحقيق تعلُّم نافع يدرك المسؤولية الاجتماعية، وينمِّي الحس الوطني والشعور الإنساني، ويقدر أهمية القيام بالواجب واحترام وجهات نظر الآخرين، ويلبّي حاجات سوق العمل.

إن رسم معالم هذا البناء المعماري المتكامل للخطة يتطلب مواصفات دقيقة وصحيحة للتصميم، والتخطيط، والتطوير، وأدوات فاعلة للتنفيذ حتى يتم التحسين والتجويد لنقطف أخيرا ثمارا يانعة لمخرجات هذه الخطة التي تستشرف آفاق مستقبل واعد يواكب تطور مسار المعرفة وطرائق تناولها.

وإن اهتمام الجامعات والأكاديميين والجمعيات الأدبية بتطوير الخطة له أسبابه ومسوغاته التقنية والتعليمية، وهو مؤشر على الحيوية والرغبة التي يتمتع بها هؤلاء من أجل التجديد، والتحسين، والبحث عن الكفاءة وزيادة الفائدة والفاعلية، مع الإشارة إلى أن القيمة الحقيقية للمعلومات التي سيتضمنها هذا الجديد، تتوقف على مدى استخدامه لها وإفادته منها في المواقف الحياتية والعملية المختلفة.

إن ما يدعو إليه الباحث في عملية التطوير هذه يتصف بالمرونة ويركز على الكيف لا الكم، وعلى التطبيق والتوظيف لا الحفظ والتلقين، إنه يهتم بتنمية الخيال الخلاق وتوكيد حب الاستطلاع والبحث، وتوفير فرص التفاعل والتحفيز لإحداث نقلة نوعية في مستوى الاستجابة، كما يحرص على تحقيق الغايات المتوخاة من التعليم بصورة سليمة وبطريقة شمولية مع التركيز على تقديم البنى المعرفية بدلا من التفصيلات الجزئية، وتعليم الطلبة القيم الأخلاقية التي تجعل من هذا الطالب إنسانا منتميا إلى أمته يعطيها أكثر مما يأخذ منها، وينهل من

معطيات الأدب والفن والعلم، ويحرص على تنويع المصادر المعرفية للوصول إلى تعلّم نافع فاعل.

إن رؤية الباحث للتغيير واستشراف إستراتيجية خطة عصرية واقعية عملية لتنبع من قناعات خرج بها الباحث بعد بناء استبانة خاصة بذلك وتحليل نتائجها، إذ فحص الباحث مجالات الخطة والمقررات الدراسية والمادة التي يتعلمها الطلبة فوجد أن المشكلة تكمن في محاور العملية التعليمية الرئيسة (الطالب، والمعلم، والمادة).

محاور العملية التعليمية الرئيسة
المستقبل (الطالب) بين الألم والأمل

إن المستهدف الأول والأخير من هذه العملية هو الطالب الخرّيج، إذ لا بد من الإجابة عن بعض التساؤلات التي تعرّفنا على واقع طلبة تخصص قسم اللغة العربية، فمَنْ الطلبة المنتسبون إلى هذا القسم ؟ وما مستوى تحصيلهم الأكاديمي والثقافي في الثانوية العامة ؟ لماذا اختاروا هذا التخصص ؟ وما مستوى الخريجين ؟ وهل عندهم الكفاءة ليكونوا مدرسي لغة عربية ؟ وهل المساقات التي تعلّموها تؤهلن للعمل في غير ميدان التعليم ؟

لقد أظهرت نتائج الاستبانة[1] التي وزّعت على طلبة قسم اللغة العربية أن معظم الطلبة في هذا القسم ذوو معدلات متدنية، وتحصيل أكاديمي بسيط لا يرقى بصاحبه لأن يكون طالباً متخصصاً في اللغة العربية، أو لم يقبلوا في تخصص آخر في الجامعات الحكومية، أو أنهم سجلوا في هذا التخصص لقلة رسوم الساعات المعتمدة، ونتيجة لذلك، فلا غرابة أن يكون طالب التخصص في هذا القسم ممن لا يقوى على أن يتقن مثل هذا التخصص في اللغة الأم، التي تتطلب من الطالب مستوى متقدما، ورغبة جامحة حتى يستطيع أن يبرز في دراسته الجامعية.

فطالب اللغة العربية يعيش صراعا أكيدا وجادا بين الألم الذي عايشه من المرحلة الابتدائية حتى مرحلة البكالوريوس ذاك الألم المتمثل في هذه التركة المدرسية النمطية التي تعتمد على التلقين وعدم الأخذ بوسائل التقنية الحديثة والنظريات اللغوية المتجددة، وبين الأمل الذي يصبو إليه ليكون إنسانا ناجحا في حياته، بانيا ماهرا في أمته، منتميا صادقا لخدمة هذه اللغة الجليلة لغة القرآن الكريم والدين الحنيف، إنه أمل مشوب بالخوف والتعثر والعقابيل، لأن

---

(1) الاستبانة مرفقة في آخر البحث.

المدخلات ليست بحجم المخرجات المطلوبة، ويبقى الرهان معقودا بناصية الطلبة أنفسهم الذين يرغبون ألا يكونوا مدرسين في حقل التربية والتعليم فحسب بل في مجالات أخرى كثيرة أظهرتها نتائج الاستبانة والمتمثلة في العمل في مرافق أخرى إعلامية، وصحافية، وسينمائية، ومسرحية، وكتبة حوارات، وغيرها.

المرسل (المعلم) بين العزلة والتطوُّر

لعل ضعف خرِّيجي قسم اللغة العربية لا يتوقف على الطالب الخرِّيج فقط، بل سيشاركه في ذلك المعلم الذي ما يزال يفكر بعقلية الكتاتيب، والتكايا، والزوايا، ذاك المرسل الذي لا يكلّف خاطره، ولا يفكّر يوما بأنه يحمل أمانة أبت السموات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها، تلك المسؤولية التي لا يَقدِر عليها إلا كل غيور على هذه اللغة وأصحابها، إنه المعلم الذي لا يزال يؤمن بتلقين التلاميذ ويطلب منهم أن ينسخوا الدرس مرات ومرات، ويزرع القلق واليأس في نفوس الطلبة الذين لا يحفظون القصيدة غيبا بإذلالهم أمام زملائهم، أو نعتهم بنعوت لا تليق بإنسانيتهم أو إذا تلكأ أحدهم في تسميع ألفية ابن مالك.

إنه المعلم المنزوي الذي ما كلّف خاطره يوما أن يذهب إلى مكتبة علمية ليرقى بنفسه وبطلبته، أو أن يتعلم ويفيد من هذا التقدم التقني المعلوماتي المتوافر له في جهاز الحاسوب وعلى الإنترنت، إنه المعلم الذي يفكر بالمستقبل بعقلية قديمة، والمكبل بأعباء الحياة. فكيف أطالبه بأن يكون مبدعا متميزا معطاء ؟! كيف أطالبه بأن يغيِّر المنهاج أو يعدله ؟ وهل معه صلاحية ذلك ؟ أم أنها الإستراتيجية السياسية التي يسير معها شاء أم أبى، رضي أم سخط.

إن هذا المرسل يحتاج إلى صقل، ودربة، وبناء شخصية قادرة على بناء جيل تصارعه تيارات وغوايات لا يقوى على الوقوف أمام أيسرها، فماذا يفعل أمامها وكلها هوجاء عاتية ؟

الوسيط (الخِطة والمادّة) بين الأصالة والحداثة

إن المتفحص المدقق لخطط أقسام اللغة العربية في الجامعات والمناهج والمقررات الدراسية يصاب بخيبة أمل عندما يجدها خططا قديمة، بالية، مغلقة، المساس بقدسيتها كُفر، ويعدُّ العمل على تغييرها أو تعديلها حذفا أو زيادة خروجا من الملة، وإضافة جديد إليها فذلكة. إن هذه الخطط لم تراع – في معظمها – المجالات التي يجب أن يتعلّمها طالب هذا القسم، ولا تمكنه من أخذ

زهرة يانعة من كل بستان، وإنما موادّ ومقررات اتَّبع مُعدُّوها ما ألفوْا عليه آباءهم وأساتذتهم القدامى، فاقتفوا أثرهم وساروا على دربهم دون النظر إلى ما سيؤول الطالب إليه، ودون الأخذ بعين الاعتبار اختلاف البيئة، والسلطان السياسي، والأفكار الجديدة، والمعتقدات، والمدارس والتيارات الأدبية المتتالية التي تطل علينا مع إشراقة شمس كل يوم بجديد.

إننا نعترف ونقرُّ بأنها خطط حافظت على الأصل والأصالة، وإنها مناهج عَذْب تناولها، وغزيرة معانيها، وثرية مادتها، إنها مناهج ومقررات نظرت إلى القديم على أنه أصل لا فرع، وإلى الجديد على أنه فرع لا أصل، ونسينا أن جديد اليوم هو قديم الغد.

إن المناهج والمقررات الدراسية التي ننشدها هي تلك التي ما خرجت إلى غيرها إلا لتأخذ بما هو جديد، إذ الأصل أن نخرج ونرتقي بهذه اللغة التي سهَّل الله لها كلَّ حزن حتى تساير هذا التفجر المعرفي وهذا التقدم التقني، وهذا الغوص في عمق الموجود للخلق والإبداع، والتدليل على فاعلية هذه اللغة وقابليتها لتقف شامخة ، ثابتة، ولتدلّل على أنها الحية التي لا يعتريها ضعف ولا أفول، فاللغة الحية القوية قوة لأهلها، وتقوى اللغة بأبنائها المخلصين الغيورين.

ولا يضير حماة العربية النظر في هذه الخطط والمناهج والمقررات الدراسية، ما دام ذلك يخدم اللغة وحملتها وطلبتها، إذ إن الهدف هو ابن اللغة، فإن كان ضحل الثقافة، لا يعرف عنها إلا النزر اليسير فهل يستطيع هذا أن يقف أمام ما يطالعه من جديد ودون توقف؟ أم هل يقوى على فهم القرآن الحديث، والحديث النبوي الشريف؟ أم هل يقوى على فهم كتب الأمالي، والكامل، والبيان والتبيين؟

لقد آن الأوان أن نتكاثف ونتدارس، ونبني، حتى يكون ذلك لنا في سجل يقول لمن يأتي بعدنا: إننا قد بدأنا واجتهدنا، ولن نغلق الباب، ولن نحجر على الآخرين اجتهادهم، فلكل مجتهد نصيب.

واقع الخطط والمقررات الدراسية ونتائج الاستبانة

وتمشيا مع إلحاح التفجر العلمي، والثقافي، والمعرفي، والتنويري وتمشيا مع هذا التغيير المطرد الذي ما ترك شيئا إلا ومسه من قريب أو مِن بعيد، وتلبية لحاجة سوق العمل وشروط دخوله، الذي لم يعد يقتصر على أن يعمل الخريج في مجال التعليم فقط، وإنما تفتحت أمامه مجالات أخرى يلح سوق العمل عليها، مثل، العمل في الصحافة والإعلام، أو التحرير في الإذاعة

والتلفزيون، أو كتابة المسرحيات والمقالات والمسلسلات، ورغبة في الوصول إلى أهدافنا بيسر وسهولة، فإن الاعتراف بالحق فضيلة، فلا مجال لذر الرماد في العيون.

ونظرا لحساسية الأمر قام الباحث ببناء استبانة محكمة دقيقة، وزعت على الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في جامعات خاصة، تكوّنت أسئلتها من المناهج والمقررات الدراسية في خطة قسم اللغة العربية ومدى فاعليتها في الطلبة ومقدرتهم على تناولها، وهل تساعد على صقل شخصياتهم أخلاقيا وسلوكيا ومجتمعيا ؟ وهل لبت رغبات سوق العمل بميادينه ومجالاته المختلفة ؟

الاستبانة ونتائجها:

قام الباحث بتفريغ نتائج الاستبانة وتجميع الأفكار والمعلومات وفق الأهداف التي شملتها تلك الاستبانة، وبعد قراءتها، وتحليلها ودراستها دراسة واعية دقيقة، دهش الباحث للنتائج التي توصل إليها، فقد عكست الواقع المرير الذي تغفل عنه أقسام اللغة العربية، وتعود هذه الغفلة المسكوت عنها لأسباب كثيرة منها: هل نحن الذين نعاني في هذا العالم العربي والإسلامي من هذا فقط ؟ هل نحن الذين سيقومون بعملية التغيير؟ هل نستطيع إقناع الذين يرون المساس بهذه الخطط جريمة لا تغتفر ؟ هل سيستجيب أصحاب القرار لدعوتنا إلى هذه التغييرات التي نقترح إجراءها ؟

أسئلة كثيرة تدور في خلدنا لا بدّ من الإجابة عنها، فقد آن الأوان لنكون موضوعيين، آن الأوان لتعليق الجرس، ودقّ ناقوس الخطر الذي يهاجمنا ويكاد يصرعنا، سنحاول أن نقدم شيئا ما مستعينين بالله أولا وأخيرا، منطلقين من واجبنا ومسؤولياتنا، ومن الخبرات التي اكتسبناها من الجامعات المتعددة التي عملنا فيها مستفسرين ممن درَّبونا وعلمونا، آخذين بنصائحهم وتجاربهم، فاتحين الباب أمام أية نصيحة تقدم إلينا، فإنَّ عملنا هذا يحتاج إلى أصحاب النوايا الصادقة.

الخطط والمقررات الدراسية بين التقليد والتطوير

لقد بنيت خطط أقسام اللغة العربية، وأحكمت أساساتها وفق خطة هندسية مدروسة روعيت فيها المجالات المعرفية، والعلمية، والمهارية والتاريخية، والتربوية، والوطنية، فوضع لكل مجال من مجالات الخطة نسبة مئوية من المواد والمساقات الدراسية المعتمدة المطلوبة حتى يتخرج الطالب،

وبالنظر إلى تلك النسب للمقررات الدراسية وجدنا بعضها غير كاف ويحتاج إلى مساقات ومواد إضافية أخرى حتى تؤتي أكلها وتعمل على تمكين الطالب وتشكيله أكاديميا وثقافيا ومعرفيا.

ووجد الباحث – إضافة إلى ذلك – أن مسميات بعض المجالات لا تزال قديمة قدم وجودها في الجامعات دون زيادة أو نقصان أو تعديل، ودون التعرف إلى مدى ملاءمتها والجديد المعرفي، وكذلك عدم كفاية الفترة الزمنية المعطاة لتغطية أساسيات هذه المادة العلمية المقررة، وهل تلبي هذه المساقات والمقررات حاجات سوق العمل ؟ وهل تمكن هذه المناهج الطالب من إتقان التعبيرين الشفوي والكتابي؟ وهل تنمي القدرات اللغوية والميول الأدبية وتصقلها ؟ وهل تكسب هذه المسميات الطالب مهارات البحث العلمي وتدربه على التعلم الذاتي وتوسِّع آفاق تفكيره ؟ وهل هذه المقررات الدراسية مناسبة لمستوى الطلبة في القرن الحادي والعشرين من حيث المعارف، والتيارات الفكرية، والمذاهب الأدبية، والقيم الأخلاقية والمسلكية والنظريات اللغوية والنقدية والمعاصرة ؟

أسئلة كثيرة تفرض نفسها وتبحث عن حل ولعلنا – أخيرا – نوفَّق في الإجابة عنها، ولن نغلق الباب أمام الناصحين وأصحاب الخبرة والتجربة ليكونوا محفزين لنا ومساعدين على إنجاز مهمتنا، فاليد الواحدة يمكن أن تشير وتنبِّه، أما الأيدي جميعاً فهي التي بتكاتفها وتعاونها تستطيع أن تشيد البنيان وتعليه.

وسنعرض في الصفحات الآتية – إن شاء الله تعالى – المجالات الأربعة الرئيسة التي تشكّل بناء الخطط في أقسام اللغة العربية.

الخطة الدراسية – الكائن والممكن

المجال الأول: المهارات اللغوية الأربع بين الوجود واللاوجود

إنَّ من يمعن النظر في خطط أقسام اللغة العربية يجدها تكاد تكون خالية من هذه المهارات أو يجدها في مساق واحد أو على الأكثر في مساقين تحت عنوان مهارات الاتصال بنسبة لا تتجاوز 10% من مساقات التخصص، علما بأنها الشريان الوحيد والأكيد الذي يغذّي باقي المساقات ويمهّد لها الطريق، ويصقلها ويجعل تناول ما بعدها أكثر سهولة ويسرا.

ولا يستطيع أي إنسان في ميدان التعليم أن ينكر أو يتنكّر للدور الذي تؤدّيه هذه المهارات الأربع من تدريب على الاستماع والفهم الصحيحين، ثم

التعبيرين الشفهي والكتابي اللذيْن هما أساس للعملية الدراسية والتحصيل العلمي والمعرفي وبخاصة للطلبة الجدد حتى ولو كانوا ممن يتقنون العربية، أو ممّن تعلّموها في المراحل المدرسية الثلاث.

ولكن طرح المهارات وإعطاءها للطلبة لا يحتاج إلى كتب خاصة بها فقط، وإنما تحتاج إلى عضو هيئة التدريس المتدرب المخلص المتفاني الذي تهمه مصلحة الطلبة، إنه المعلم الكفء الذي يرتقي بأسلوبه الوظيفي لا التلقيني، بأسلوبه التطبيقي لا التحفيظي، إنه المعلم الذي يقدم المفتاح (الكلمة) ويترك الجمل والفقرات للطلبة ينشئونها مقلّدين متبعين خطاه.

إن زمنا نعيش فيه يتصف بهذا الكم الكبير من الأدوات، والوسائل التعليمية، والمخترعات التي تعين المعلم على التعليم والطالب على التعلم، ليوجب علينا أن نأخذ بما يجود به ويقدم، حتى نرقى بطرائق تعليمنا، ونطعمها بهذا الجديد.

وجديد الباحث يكمن في زيادة مساقات المهارات الأربع: (مهارة الاستماع، ومهارة الخطاب، ومهارة القراءة، ومهارة التعبير الكتابي)، وليس هذا فقط، بل جعلها موادّ ومساقات إجبارية ليست اختيارية، يأخذها الطالب في السنة الأولى التي يلتحق بها بقسم اللغة العربية لتساعد وتمهّد له عملية الدخول إلى المجالات الأدبية واللغوية والثقافية الأخرى في السنوات الثلاث اللاحقة.

المجال الثاني: المساقات الأدبية بين الاتباع والإبداع

تعد نسبة المساقات الأدبية من أعلى النسب في بناء خطة أقسام اللغة العربية إذ تبلغ 30% من مجموع نسب الخطة الدراسية، وهذا جد طبيعي نظرا لتقسيم المادة الأدبية إلى عصور تاريخية من الجاهلية حتى المستقبل اللامحدود، ويعدُّ هذا التقسيم مقدسا وموضوعيا، المساس به يعرض صاحبه إلى النقد، والرمي بما لا يرمى به خارجيٌّ عن الإجماع الذي سطّره السابقون – أساتذتنا الأجلاء – الذين رأوا فيه النجاة والفلاح والنجاح، ولعظمة أولئك لم يعد يجرؤ أحد على حتى الكلام عنه، أو القيام بمحاولة لتعديله أو تقييمه أو الاقتراب منه، فقداسته بعصوره أدت إلى جمود هذه المادة الأدبية وأبعدتها عن الرقي والسمو، وقيّدت المبدعين والشعراء والكتّاب والنقاد إذ جعلتهم أقرب إلى الاجترار من الخلق والإبداع.

فالمادة الأدبية التي تعلّمها الطالب عن العصر الجاهلي، يكررها في تدريسه الجامعي، وما عرفه عن الجاهلي في صحرائه وما فيها يكرره ابن

القرن الحادي والعشرين في عصر الإنترنت، فما علاقة الطالب الذي يعيش في حضن الحضارة والرقي بليلى وأطلالها، وأم أوفى وآرامها، وبمية وعليائها؟ ما علاقتهم بالحمر الوحشية وبالرحلة الليلية ومعركة الثور الأسطورية وبيت الشَّعر وغير ذلك ؟

هل ابن الحضارة يعرف هذه المسميات لو رآها ؟ ماذا يفيد من هذا الكم المتراكم من المسميات الصحراوية، والحروب الطاحنة من أجل جمل نَفَق، أو مرور رجل مرّ قرب بيت شَعَر، أو نبع ماء سالت من أجله الدماء ؟

ماذا يعرف الطلبة الخريجون من أقسام اللغة العربية عن العصر الجاهلي سوى هذه المعلقات، وعن الإسلامي سوى حسان بن ثابت، وعن الأموي سوى النقائض، وعن العباسي سوى المجون، والخمريات والزهريات، والغزل بالمذكر، وعن الأندلسي سوى ولادة وابن زيدون ووصف الطبيعة، وعن دول الانحطاط سوى التأخر والانكسار، وعن الحديث سوى نزار وقاسم، ودرويش، أليس من الظلم بمكان أن يُحدّد أدبنا بأسماء، وموضوعات اقترنت بهم نبقى نردّدها حتى يرث الله الأرض وما عليها.

إنّ ما يؤلمنا أن الطالب الخرّيج لا يكلف نفسه حتى التعرف إلى أدباء عصره، بل أدباء قطره وحيه الذي يعيش فيه، وهذا من باب أولى، لأنه على الأقل يستطيع أن يشارك الشاعر شعوره وعمله في محاولة بناء هذا الجيل الذي تتقاذفه تيارات فكرية خارجة عن تقاليده وعاداته وتراثه وما تربى عليه بفعل مذاهب أدبية غريبة، وظواهر مغايرة لكل ما تعلّمه في الجامعة وحفظه وتقدم للامتحان فيه ونجح بمعدل متقدم، ناسيا كل ما حفظه ودرسه مع آخر كلمة خطّها في ورقة الامتحان.

أمام هذا الواقع المرير وأمام هذه الهالة التي نصبت على هذه العصور الأدبية وتلك القداسة لهذا التقسيم، وأمام تدني المستوى الثقافي والأكاديمي، نسأل أين أنتم يا أساتذة الأدب ؟ ألا من رؤية مستنيرة تنويرية تأخذ على نفسها تناول هذا المجال الأدبي بطرق مختلفة تجديدية واقعية تحافظ فيه على الأصالة والأصول وتحاول أن تلبسه ثوبا قشيبا جديدا مستمدا معانيه وصوره ودلائله مما يرى ويعيش معه لا مما يتخيله ويرسمه في الذاكرة.

وهنا يدعو الباحث إلى إضافة المساقات الآتية التي تناسب سوق العمل ورغبات طلبة أقسام اللغة العربية، وهي: كتابة الفقرة، وكتابة المقالة، والمسرحية، والقصة وفن الإعلام . . وغيرها.

فما الأدب إلا اكتساب التذوق والتأدب وصقل الشخصية، وما الشعر إلا الشعور بذات الأحاسيس التي أحسها منشد ذاك الشعر. إن الأدب الذي نريده، لا ذاك الأدب الذي يبكي على سعاد وأطلالها، ولا فاطمة وجواريها، وإنما نريد أدبا ملتزما، يحكي الواقع، يعالج قضايا الأمة المصيرية، نريد أدبا يحرك قارئه، يحفّزه، يُنبت في نفسه الإيثار والعزة والمجد، نريد أدبا واعدا يستشرف الغد وما يحمل، ويتجاوز الحاضر وما حل فيه، وينسى الماضي بمآسيه.

وعطفا على ما سبق فإن الباحث يعرض طريقة لدراسة الأدب وفق القضايا الأدبية، والموضوعات، والمدارس الجديدة، وبشكل عرضي يضمن لدارس موضوع ما أن يتعرف إلى المعاني التي تناول فيها الشعراء القدامى الغزل، ومن أين استمدوا الصُّوَر وكيف اهتدوا إلى الكلمات والعبارات الساحرة التي عبروا بها عن أشواقهم في النسيب والتشبيب والغزل، وهل هي حسية أم مادية، صادقة أم كاذبة، ذاتية أم موضوعية ؟ ثم ننتقل من هذا الغرض إلى شاعر آخر في عصر آخر ندرس الشيء نفسه، وذلك من أجل التعرف على الألفاظ التي كتب لها الخلود، وإلى الألفاظ التي اندثرت وما سبب اندثارها، وإلى المعاني الخالدة والصور التي لا تزال حية، التي لم تمت بموت صاحبها، نريد التعرف إلى أثر هذه المعاني الشعرية في الموضوعات المختلفة، وقوة تأثيرها ومدى فاعليتها في نفوس القراء، وسرّ هذا الساحر الجديد الذي يأخذ بالألباب. نريد دراسة الأدب دراسة تطبيقية، وظيفية، وتعليمية خلاقة، إبداعية تسمو بنفس قارئ الشعر مع كل بيت في القصيدة، ومع كل كلمة من كلمات البيت الذي يليه حتى تكتمل نشوة القارئ عند آخر بيت في القصيدة الخالدة التي تحمل المعاني السامية السامقة التي تدفع بقارئها إلى أن يعيش حياته بحالة وجدانية متفائلة حالمة.

المجال الثالث: النحو العربي بين التعسير والتيسير

يعدُّ الدرس النحوي والصرفي ونسبته 15% في الخطط الدراسية القانون الأعلى للعلوم العربية، بل المحور الأساس الذي تدور معهما وحولهما باقي المجالات والمقررات الدراسية في خطط أقسام اللغة العربية، لأنهما يُعدَّان سلاح اللغوي، وعماد البلاغي، وأداة المشرِّع والمجتهد، والمدخل الأوحد إلى العلوم العربية والإسلامية جميعا، بل يُعدّان أيضا وسيلة النطق الفصيح والكتابة الصحيحة، لذا فإن قواعدهما لا تؤتي ثمارها الناضجة الناجعة إلا بالدرس التطبيقي، والوظيفي، والتدريبي.

فالدرس النحوي هو الذي يربّي الطلبة ويقدرهم على التعليل، والتحليل، والاستنباط، ويعوّدهم دقة الملاحظة، والموازنة بين التراكيب المختلفة ذات الدلالات المتنوعة. وهو الذي بدوره يدرّبهم على دقة التفكير، وعلى البحث العلمي العقلي، والقياس المنطقي، ويضع أسسا صحيحة للمحاكاة والتدرّب على الأساليب التعبيرية والكتابية الصحيحة.

فويح أمة تنكرت لهذا الدرس النحوي الذي يعد أس هويتها وفكرها وحضارتها وتراثها، والويل لهؤلاء الذين أخذوا يتهمون هذه المادة بالجمود والتعقيد، ويشبهونها بالرموز الرياضية الجامدة والمعادلات الجبرية المتشاكلة والمجردة من كل ذوق ومعنى وإحساس، فنأوا عنها بل عدوا كلمة (نحو) عدوا لدودا لا يطيقونه ولا يجرأون على الاقتراب منه، فكيف يتخصصون فيه ويتعلمونه؟!

ويدعو الباحث هنا في المجال النحوي والصرفي إلى إضافة مساق تحت مسمّى التدريبات اللغوية بمعدل ساعة إضافة إلى الساعات المعتمدة: نحو 1، ونحو 2، ونحو 3، على أن يدرس النحو والصرف تطبيقياً ووظيفياً. وأن يوظّف هذه المادّة المهمة في خدمة سوق العمل الذي يتطلب خرّيجين يعملون في الإذاعة والتلفزيون، وكتابة المسرحيات والسيناريوهات، والتحرير والتأليف وغيرها من المجالات الأخرى التي يتطلبها سوق العمل.

وإنّ الباحث ليتمنّى على الأساتذة النحويين الكبار سدنة التراث الذين يحملون لواء سيبويه أن يعدوا مناهج لتدريس النحو والصرف تعتمد على التركيب والتكاملية بطريقة عرضية لا أفقية، تبني هذا النحو كما يبني المهندسون البناء، آخذين بعين الاعتبار الكلمة الفصيحة الصحيحة في الأساس، ثم يرفعون بناءهم لبنة لبنة حسب القدرات والطاقات والإمكانات وبهدوء وترتيب يكفلان لهما إنضاج الفكرة حتى يكتمل البناء، بحيث لا نبدأ في المرحلة الثانية دون التأكد من الانتهاء من المرحلة الأولى، فالعبرة بالكيف لا بالكم، والعبرة بالفهم لا بالصمّ، والعبرة بالمنتَج لا بالمادة التي أنتج منها.

المجال الرابع: المجال اللغوي الكائن والممكن

تحتل نسبة المقررات الدراسية ومناهجها اللغوية في الخطة الدراسية المرتبة الأولى لما لها من أهمية وارتباط بتخصص اللغة العربية، فلا غرو أن تأخذ نصيبها الأوفى والأوفر من حيث عدد المساقات، ولكن الملاحظ في خطط أقسام اللغة العربية أنها احتوت مسميات حديثة حلت محل المسميات القديمة،

فعلم اللغة الحديث حل محل فقه اللغة، وأضيفت مساقات جديدة أخرى مثل علم الدلالة والمصطلح، وعلم المعجمات العربية واللسانيات، والصوتيات، ومسميات أخرى مشابهة لها في بعض الجامعات الأخرى.

وشغل أعضاء هيئة التدريس بإبداء آرائهم ودفع حججهم مبرهنين على أن علم اللغة يختلف عن فقه اللغة، وأنه آن الأوان لنخرج على القديم آخذين بهذه المسميات المستوردة من الغرب أو الشرق تقديسا لها ورفعا بشأن أصحابها، وفي المقابل تخفيضا لشأن أنفسنا وتقزيما لعلماء أمتنا.

فالذين درسوا في غير موطن اللغة العربية بهرتهم هذه المصطلحات الجديدة التي يصعب على الطلبة فهمها بل نطقها، فجاءوا حاملين لها وكأنه فتح وعمل بكر سيفاجئون أمتهم به دون النظر والتعرف إلى أسباب وضعه، والظروف والبيئة التي وجدت فيها مثل هذه المصطلحات اللغوية المعربة والمترجمة والملتوية والمتعاظلة، نزيف مصطلحات لا يمكن أن نجد له ما يجفف مصادره، رغم إيماننا المطلق أنه لا يجوز بحال أن ننكر أو نغفل هذا الجديد، وعلينا أن نصطفي منه ونأخذ ما ينفعنا ارتقاء بدراساتنا ومناهجنا، ونطرح ما هو بعيد ولا يفيد، أو يعمل على إذابة شخصيتنا الثقافية وتراثنا التليد الأصيل في ما يستورد، علما بأن هذه الآراء والكتب والمصطلحات ما هي إلا من زيت سراج لغويي الأمس.

ومن المعروف أنه يتوجب على أبناء اللغة الأصلاء أن يحترموا نظريات قدامى اللغويين والإفادة منها مع الأخذ بالمستجدات الدراسية اللغوية، وتقديم هذا الجديد في مساقات ومناهج سهلة التناول، واضحة المقصد والدلالة، مفهومة المعنى، فاللغوي العظيم لا يقاس بتغريب ألفاظه وتعقيد مصطلحاته، ومعاظلة أسلوبه، وإنما يقاس بما يفيد منه طلبة العلم.

أما رؤية الباحث في هذا المجال اللغوي - الذي كثر فيه اللغط والتحليل، والتفكيك، والبناء، والتركيب - فقد ركزت واقتصرت على إعادة مسميات المساقات اللغوية الجامعة الشاملة والملائمة لماضينا وحاضرنا ومستقبلنا؛ وذلك لأن المحدثين استمدوا مسمياتهم من قديم لغتنا وقدموه لنا بمسميات جديدة، حتى أن أبا اللغويين في هذا العصر (تشومسكي) تراجع عن كثير مما ذهب إليه في هذه المجالات اللغوية، في الوقت نفسه استمر أبناء العربية يتغنون ويفتخرون بهذا الجديد القديم الذي تخلى عنه أصحابه. وقد ركز الباحث أيضا على أن تكون مناهج اللغة والكتب التي يرجع إليها كمصادر ومراجع تعنى بالجانب التحليلي، والوظيفي، والتطبيقي لهذه المصطلحات والمعطيات والمستجدات في مجال علم

اللغة، وإلا سنبقى مشتغلين في توصيف، وتعريب، وترجمة هذا الجديد، ونشعلها حربا ضروسا بين المحافظين والمجددين ولن نجد للغة بواكيا.

جدلية بحث التخرج بين النسخ والخلق

يعدُّ هذا المساق من أخطر المساقات في الخطة الدراسية بل من أكثر المساقات في تقييم الطالب من حيث التحصيل العلمي أو الثقافي، أو بناء الشخصية القادرة على الخلق والإبداع.

وهذا يتطلب الجدية والرغبة والمصداقية من الطالب في البحث، والأمانة، والإخلاص، والتوجيه من قبل الأستاذ المشرف.

فما هو كائن أن الأستاذ يبدأ مع هؤلاء الطلبة في الفصل الأخير من الدراسة بإعطائهم محاضرات في كيفية كتابة البحث العلمي وطرائقه وشروطه ومميزاته، ثم يوجِّه الطلبة إلى كيفية اختيار عنوانات موضوعاتهم بحسب رغباتهم في المجال الذي يشعر كل منهم أنه يستطيع أن يجيد فيه، ويغوص في أعماقه حتى يخرج بجديد.

وهذا يتطلب أن يوجِّه الأستاذ المشرف طلبته إلى المكتبة والكتاب ليفيدوا من الأقراص المدمّجة، والشبكات العنكبوتية، والمراسلات الحديثة التي تمكنهم من سبر الأغوار، والدخول إلى أعرق حجرات المكتبات العالمية، مفيدين من الأساليب الحديثة في الإخراج والوصول إلى نتائج وفرضيات شبه أكيدة وأصيلة في عملية البحث العلمي، ولن يتحقق هذا إلا بجدية طالب، ومصداقية معلم، ودعم مؤسسة، فهناك نستطيع القول بأننا أمّة قارئة باحثة.

المواد التربوية بين النظرية والتطبيق

فنظرا لتوجُّه معظم طلبة قسم اللغة العربية إلى ميدان التربية والتعليم – بحسب الاستبانة – تنبّه الباحث إلى ضرورة التعرّف إلى المساقات التربوية في خطة قسم اللغة العربية فوجدها نظرية بحتة، وتقليدية جامدة، وغير مؤهّلة لتنشئة معلم المستقبل في عصر تفجُّر المعرفة، وغير قادرة على تأهيل الخرِّيجين ليكونوا حملة رسالة التعليم وتخريج أجيال الغد.

هذا الوضع دفع الباحث إلى تغيير مسميات المواد التربوية مقترحا أن تكون تطبيقية لا نظرية، تنويرية لا تقليدية، ميدانية لا صفية. فلا يكفي أن يُعطى هذا الطالب كيف يدرس؟ ولا كيف يبني منهاجا؟ وإنما يجب أن يبدأ بالنزول إلى ميدان العمل ومن السنة الثالثة وفي كل فصل، يداوم في المدرسة، أو في دار

الإذاعة والتلفزيون، أو في دار الصحيفة أو في أي مكان يرغب العمل فيه، شريطة أن يكون هؤلاء المتدربون تحت أعين أساتذتهم يوجهونهم، ويدخلون معهم في البداية حتى يتأهّلوا لقيادة الصف المدرسي أو أي عمل يوكل إليهم في ميدان العمل، وأن يكون أعضاء هيئة التدريس على قدر عال من الاهتمام والانتباه والتوجيه، وقبل كل شيء تقوى الله في هذا الجيل. وكل هذا وذاك لا يتأتى إلا بتحويل المواد التربوية إلى عمل ميداني بحت.

الخلاصة

انطلق الباحث في بحثه من قاعات التدريس الجامعي ومن مخرجات أقسام اللغة العربية، إذ لاحظ المستوى الأكاديمي المتدني للخرّيجين وتحصيلهم الأكاديمي في استبانة وزّعها على الطلبة وعلى أعضاء هيئة التدريس في ثلاث جامعات. وبعد تفريغ هذه الاستبانات وجد الباحث أن سبب الضعف عند الخريجين في ميادين العمل التي يعملون فيها إضافة إلى التعليم في المدارس التي يمارسون فيها العملية التعليمية، يشترك فيه الخريجون وأعضاء هيئة التدريس وخطة قسم اللغة العربية، الأمر الذي دفعه إلى إعادة النظر في هذه المحاور الثلاثة، ووضع خطة جديدة عصرية متميّزة تعالج هذا الأمر، وتعمل على الرقي بالطلبة أكاديميا، وثقافيا، وتربويا، وبحثيا، فقام بتغيير بعض مسميات المساقات أو أضاف مواد مهارية إجبارية تمكّن الطلبة من الدخول إلى المواد التخصصية بقسم اللغة العربية.

وقد اتّسمت مساقات هذه الخطة بطابع التوظيف والتطبيق. وأفادت من المقررات والموادّ المعاصرة مع المحافظ على الأصالة، والمنابع الأساسية للغة العربية. وقد تمّ تجريب هذه الخطة وتطبيقها، ولاقت رواجاً وقبولاً عند الطلبة وأعضاء هيئة التدريس مما حدا ببعض الجامعات أن تطبق هذه المنهجية الجديدة وتعمل بها.

التوصيات

يوصي الباحث بدراسة هذا البحث موضوعيا وكذلك الخطة الدراسية المرفقة، ويتمنّى على الإخوة القارئين لهذا البحث أن يرسلوا ملاحظاتهم لتكون تغذية راجعة تعمل على إكمال هذا المشروع وإنجاحه بالتعديل، أو التصويب، أو الحذف، أو الإضافة، فالنقد الهادف الموضوعي البناء يخدم المسيرة ويحقق الهدف المنشود.

ويوصي الباحث أيضا بعقد مؤتمر يدعو إليه كل غيور لمناقشة هذه الرؤية الشاملة ومدى ملاءمتها لطلبة هذا التخصص الدقيق ولحاجات سوق العمل في العالمين العربي والإسلامي.

ويوصي الباحث بضرورة الجدية والعمل من أجل هذا المشروع النهضوي الذي يأمل منه أن يكون نواة للتعاون والتكامل بين أبناء الأمّتين العربية والإسلامية، وكم يتمنى كل غيور أن تتحقق وحدة أمتنا في كل الميادين، وما يدريك لعله يزكى، وأن يكون هذا الجهد أول لبنة لبناء صرح وحدتنا في مناهجنا، وتوجهاتنا، وقيمنا وإعادة هوية أمتنا الإسلامية التي تواجه حملات ظالمة وما ذلك على الله بعزيز.

الاستبانة

المساقات والمقررات الدراسية في خطط أقسام اللغة العربية

يرجى التكرم بقراءة الأسئلة الواردة في الاستبانة بشكل جيد والإجابة عنها بدقة وموضوعية، مع الشكر والتقدير.

السؤال الأول:

هل المساقات والمقررات الدراسية في خطة قسم اللغة العربية تقليدية وجامدة، أم مناسبة ومتطورة، أم بحاجة إلى تعديل ؟

السؤال الثاني:

هل هذه المساقات والمقررات الدراسية تلبّي حاجات سوق العمل ومتطلباته ؟

السؤال الثالث:

هل الفترة الزمنية (الفصل الدراسي) كافية لتغطية المادة العلمية المقررة لكل مساق؟

السؤال الرابع:

هل المساقات المهارية كافية وقادرة على تمكين الطالب من إتقان التعبيرين الشفوي والكتابي ليكون مذيعاً أو مخرجا في التلفزيون؟

السؤال الخامس:

هل المساقات النحوية تنمّي القدرات اللغوية؟ وقادرة على إعداد محرّرين وكتبة سيناريوهات وخطابات؟

السؤال السادس:

هل المساقات الأدبية والنقدية تساعد الطالب على اكتساب ملكة التذوق للأدب ونقده، وهل تنمّي قدراته لكتابة المسرحيات والتأليف؟

السؤال السابع:

هل المقررات في مجال الخطة تكسب الطالب منظومة من القيم الأخلاقية والمسلكية والمجتمعية ؟

السؤال الثامن:

هل مهارة البحث العلمي نظرية أم تطبيقية؟ وهل تدرِّب الطالب على التعلّم الذاتي وتوسِّع آفاق تفكيره وتحفّزه إلى المزيد من البحث ؟

مشروع الخطة المقترحة وفق الأهداف في الاستبانة

تناولت الورقة مشروع تطوير خطة اللغة العربية وآدابها وطرق تدريسها والمتمثلة في:

1- زيادة المواد المهارية وتدريسها كمتطلبات إجبارية.
2- تغيير بعض مسميات المواد للإفادة من التقنية الحديثة في التعليم.
3- إضافة مواد جديدة يحتاجها سوق العمل..

المبررات:

1- تدني المستوى الثقافي عند الطلبة الجدد.
2- تدني المستوى اللغوي أيضا.
3- افتقار الخطة الدراسية إلى المهارات الأربع التي لا بد منها لكل دارس.
4- جمود مسميات المواد وتدريسها دون الإفادة من التقنيات الحديثة.
5- حاجة سوق العمل لخرِّيجين يعملون في ميادين أخرى بالإضافة إلى وزارة التربية والتعليم.

ما الحل ؟ وما العمل ؟

الحل هو وضع خطة جديدة تناسب متطلبات السوق المحلي وفق ما أظهرته الاستبانة وكما هو مبيّن: